الفروق الفردية

وأهميتها بالنسبة للمربي

أ . دوقة أحمد
جامعة الجزائر

إن الاعـــتراف بـــالفروق الفرديـــة

اعتراف قديم يعود إلى الفيلسوف أفلاطون والذي قسم الناس في " جمهوريته " إلى فئات وطبقات تختلف من حيث استعداداتها للقيام بمختلف المهن الضرورية في المجتمع . ثم تلاه أرسطو الذي قام بتعميم الفروق على الأجناس البشرية كما أنه تكلم عن الفروق الفعلية والتي أرجعها إلى العوامل الوراثية.

أما الذي شق الطريق نحو دراسة الفروق دراسة علمية وترك أثره في الدراسات الحديثة فهو العالم البيولوجي (Francis Galton) فرنسيس قالتون . فقد كان لهذا العالم الذي اهتم بالفروق الفردية وبأهمية العوامل الوراثية ، الفضل في تأسيس علم النفس الفارقي أو ما يعرف بسيكولوجية الفروق الفردية .

لقد تميز الأدب النفسي في مجال الفروق الفردية باتجاهين أساسين في محاولة تفسير تلك الفروق . فالأول يرى أن الناس متكافئون في إمكانياتهم إلى حد ما وبالتالي ما على المؤسسة التربوية إلا توفير نفس الظروف ما دامت الفروق الملاحظة بين الناس تعود أساسا إلى تباين الفرص المتاحة لكل منهم .

أما الاتجاه الثاني وعلى عكس الأول فإنه يعتبر الناس مختلفون وراثيا وبيولوجيا أي في تكوينهم العضوي . وعليه فإن المؤسسة التربوية ملزمة بوضع سياسات تربوية توظف إمكانيات كل فرد حتى ينتفع هو وينفع المجتمع (فؤاد أبو حطب ، 1982).

أما ما هو متفق عليه في يومنا هذا فيتمثل في الاتجاه القائل بأن الفروق الفردية صفة عامة يتميز بها كل البشر كما يتميز بها عالم النباتات وعالم الحيوانات . وبالإضافة إلى ذلك فإن تلك الفروق كمية في أغلبها ولها توزيع اعتدالي يأخذ شكل الجرس . ويتبين من شكل الجرس بأن أغلبية الأفراد يملكون صفة معينة بدرجة متوسطة أو معتدلة . أما أولئك الذين يملكون مستويات متطرفة في الصفة سواء من الناحية الإيجابية أو الناحية السلبية فإن عددهم يقل كلما اتجهنا نحو طرفي المنحنى . و يعود الفضل في استخدام فكرة المنحنى الاعتدالي في دراسة توزيع الصفات الإنسانية كالطول والوزن وغيرها ، إلى العالم البلجيكي A . Quetelet أدولف كيتيليه (فاروق سيد عبد السلام وآخرون ، 1991)

الفروق الفردية وأهميتها بالنسبة للمربي

فالمقصود بالفروق الفردية إذا ، هو مختلف الخصائص و السمات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من البشر سواء كانت تلك الخصائص تتعلق بالنواحي الجسمية أم بالنواحي الأخرى مثل الجوانب الأخلاقية و الاجتماعية ، فلا يوجد شخصين متشابهين تماما فحتى التوائم المتماثلة تختلف في بعض الخصائص الفردية .

و يمكن حصر مختلف الأشكال المختلفة التي تتخذها الفروق الفردية كالتالي :

- الفروق الفردية في النواحي الجسمية :

- هي أكثر الفروق سهولة في التعرف عليها و خاصة الظاهرة منها مثل لون البشرة و الطول و العلاقات النسبية القائمة بين مختلف الأطراف الخ

تعود الفروق الجسمية أساس إلى عوامل وراثية حيث تحدد منذ الأشهر الأولى من الحياة و لا تتأثر بالبيئة أو التنشئة الاجتماعية تأثيرا كبيرا . ويهتم الباحثون بالفروق الجسمية نظرا لعلاقتها بالشخصية . فالأبحاث المختلفة في مجال علم النفس أكدت وجود علاقة بين المظاهر الجسمية وبين الشخصية وبأن حدة تلك العلاقة تختلف حسب المرحلة العمرية . فالشذوذ في الوزن مثلا يترك أثرا سلبيا على التوافق النفسي عند بعض الشباب فمنهم من ينطوي على نفسه ومنهم من يظهر عدوانية مفرطة ومنهم من يظهر ضعفا وقلة الاعتماد على النفس وإلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق . ولحسن الحظ فإن تلك المظاهر السلبية تزول تدريجيا مع مرور الزمن و تقدم الشخص في السن .

- الفروق الفردية في ا لنواحي الشخصية :

إن الصفات المتمثلة في العادات والميول والاتجاهات وباقي سمات الشخصية المعروفة مثل الانبساط والانطواء وحب العزلة الخ تعتبر نوعا ما ثابتة عند الإنسان ولكن قابلة للتغير والتعديل . فالبيئة الاجتماعية والمدرسة ومختلف وسائل الإعلام تؤثر تأثيرا كبيرا في إحداث مختلف الفروق الفردية المشاهدة في هذا المجال ، و تعتبر مقاييس التقدير من أكثر الوسائل المستخدمة للتعرف على درجة الفرد في تلك الصفات الشخصية ، ويشكل مقياس CATTELللشخصية مقياسا من أرز المقاييس المستعملة لقياس سمات الشخصية وهو يحتوي على عشرين متصلا يمثل كل متصل قطبين حيث يمكن لكل فرد أن يحدد مكانته بالنسبة لقربه من هذا القطب أو ذاك .

- الفروق الفردية في النواحي المزاجية :

يقصد بالمزاج الاستجابة الانفعالية التي يقوم بها الفرد في موقف لم يستعد له مسبقا فالمزاج ذو أساس وراثي وهو يرتبط بالتكوين العصبي والغددي للفرد ولكنه في نفس الوقت قابل للتعديل والتهذيب تحت تأثير عوامل البيئة

والثقافة . فالناس إذا يختلفون في أمزجتهم بسبب اختلافهم فيما يرثونه من جهاز عصبي وغددي وفي طبيعة نشأتهم الاجتماعية . وعلى العموم فإن الكثير من الباحثين يرون أن الفروق الفردية في النواحي المزاجية سببها الفروق في الطاقة الانفعالية (فروق سيد عبد الرحمان ، 1991) . فهناك ناس لهم طاقة انفعالية قليلة حيث يتصفون بالبرودة الانفعالية والخمول المزاجي ، أما الذين لهم طاقة انفعالية كبيرة فهم أشخاص سريعو الغضب وبين هؤلاء وأولئك يقع المعتدلون.

الفروق الفردية في النواحي الاجتماعية :

نلاحظ الفروق الاجتماعية لدى الأفراد في طريقة تفاعلهم مع الآخرين . فالناس يختلفون في درجة تعاونهم وفي حبهم وميلهم للقيادة أو الزعامة الخ وهناك كذلك أنماط من الناس يؤثرون الوحدة والعزلة ولا تهمهم صداقة الناس ، وآخرون لا يشعرون بالانبساط والراحة إلا داخل الجماعة . ومما لا شك فيه أن الفروق الفردية في هذا المجال تعود إلى حد كبير إلى تأثير البيئة حيث أكدت الدراسات أن القوالب السلوكية الاجتماعية مصدرها المحيط بالدرجة الأولى .

• الفروق الفرجية في النواحي العقلية والمعرفية :

لقد نالت الفروق الفردية في هذه النواحي أكبر قسط من الاهتمام من طرف المنشغلين بهذا الموضوع وقد تركزت جهود مختلف الباحثين حول المصادر الداخلية لسلوك الإنسان ومن أهمها الاستعدادات والقدرات العقلية والذكاء العام ثم بعد ذلك العمليات العقلية المعرفية ، ويفسر تركيز الباحثين حول موضوع الفروق الفردية في الذكاء بصلة هذا الأخير بمختلف مظاهرا لسلوك والنشاط مثل التفكير والإدراك والدافعة للتعلم الخ ... فالذكاء يرتبط بأكثر من قدرة واحدة وهو كما جاء عن فروق سيد << القدرة على القيام بمختلف أنواع النشاط العقلي الذي تبدو فيه السرعة والتجريد والتعقيد و الصعوبة وكذلك التوافق وكل ذلك من أجل الوصول إلى الهدف مع اقتصاد في الوقت والطاقة العقلية (فروق السيد ، 1991 : 183) . والذكاء محدد أساسي لنجاح الفرد في مختلف مراحل حياته فهو يلعب دورا هاما في النجاح المدرسي لأنه يؤثر في جميع مراحل التعلم ، كما أن للذكاء دور في الفروق الاجتماعية الملاحظة في ميدان النجاح الاجتماعي . وبهذا الصدد فقد أكدت الدراسات المختلفة أن الفرد الذكي هو الذي يؤثر في الآخرين وهو الذي يمتلك أكبر قدرة للتكيف مع متطلبات المحيط وبالتالي هو الذي يمتاز بأكبر الفرص لتحقيق النجاح الاجتماعي أي القدرة على فهم الآخرين والتحكم فيهم و إدارتهم (Olson, 1968).

• محددات الفروق الفردية :

الفروق الفردية وأهميتها بالنسبة للمربي

إن القارئ للتراث الأدبي حول موضوع تأثير كل من الوراثة والبيئة وكذلك تفاعل تأثيرهما على السلوك يدرك جيدا أن الدراسات الحديثة التي أجريت في النصف الثاني من هذا القرن تعطي أهمية لكلا العاملين أي الوراثة والبيئة وقد تمكن الباحثون من تحديد دور الوراثة من خلال دراسات أجريت على التوائم المتماثلة والتوائم الأخوية وكذلك الاخوة الأشقاء . وقد بات الآن واضحا بأن الصفات الجسمية مثل الطول والوزن وشكل الأصابع . صفات تتأثر إلى حد كبير بالوراثة . أما باقي الصفات العقلية والمعرفية والشخصية فهي نتيجة كل من الوراثة والبيئة . فالوراثة والبيئة تعملان معا لإصدار خصائص الفرد وصفاته . ويمكن تشبيه الوراثة بآلة السيارة والبيئة ذلك السائق . فمهما كانت قوة العوامل البيئية عند الفرد فإنها لا تستطيع إجباره على اتخاذ سلوكات لم تجهز مورثاته لجعلها ممكنة ، كما أن السائق لا يستطيع إجبار السيارة على السير بسرعة لم تهيأ لها من الناحية الميكانيكية .

• الفوائد التي يجنيها المربون من فهم الفروق الفردية :

إن دراسة الفروق الفردية بين الأفراد سواء كانوا تلاميذ في مدرسة أو شباب في مركز من مراكز

التكوين ، تساعد المربي على تكييف المناهج والطرق المتبعة في توصيل المعرفة والقدرات إلى المتكونين . فالاعتراف بالفروق الفردية يحتم على المكون أو المربي إعطاء الاهتمام الكافي لدراسة تلك الفروق ومراعاتها عند التعامل مع المتكونين.

فالمربي مطالب بمحاولة فهم قدرات كل فرد واستعداداته وميوله حتى يتمكن من توجيهه الاتجاه المناسب وذلك من أجل تحقيق الأهداف التربوية المسطرة . إن معرفة المربي للفروق الفردية فيما يخص الخصائص الجسمية مثلا تجعله يتجنب المقارنات الغير المجدية بين أفراد القسم أو المجموعة . كما تحثه على استغلال خصائص كل فرد وأن لا يحرج أحدا بوضعه في موقف يتطلب قدرات لا تتماشى وصفاته الجسمية . فمن شأن المربي أن يدرك مختلف الآثار السلبية الناجمة من مثل تلك المواقف والتي عادة ما تظهر على شكل سلوكات عدوانية عند بعض الأفراد أو مظاهر انطواء وحزن عند الآخرين . ولحسن الحظ فإن الصفات الأخرى مثل الصفات الشخصية والمزاجية والاجتماعية يمكن التأثير عليها وتغييرها على عكس الصفات الجسمية . وهنا لا بد للمربي أن يكون إنسانا متفائلا وواثقا بأنه قادر على إحداث التغيير الإيجابي في سلوكات الأفراد . فعند تعامله مثلا مع الفرد الذي يملك طاقة انفعالية كبيرة يجب أن يتفاد وضع ذلك الشخص في مواقف من شأنها الزيادة في توتره . وعليه كذلك بوضع الخجول في جماعة تسمح له بالمساهمة حتى يتخلص من خجله كما على المربي أن ينبه الشخص الكثير الانبساط بحدوده وعدم انتهاك حقوق الآخرين . وعلى العموم وفيما يخص السلوكات الاجتماعية ينبغي التذكير بأن الفروق الفردية في ذلك المجال عديدة ولذا يجب أن يتخلص كل مربي من القوالب النموذجية التي يمكنه أن يتخذها كمرجع للحكم على سلوكات الأفراد داخل الجماعة فمهمته في هذا المجال تتمثل في إتاحة أكبر قدر من الفرص لكل فرد لكي ينضم إلى الحياة الجماعية ، فالحياة مع الآخرين هي التي تعين الشاب على التعرف على الفروق بين الناس وعلى مختلف المعايير الاجتماعية السائدة في المحيط .

وأخيرا وفيما يخص الفروق الفردية في المجال المعرفي والعقلي فينصح المربي بأن يوظف مختلف معلوماته في الميدان العرفي مثلا حتى يهيئ الظروف التعليمية والتكوينية التي تساعد على نمو الذكاء ومختلف القدرات الأخرى . فالمربي الذي يملك قدرا معقولا من المعرفة في مجال الفروق الفردية بين الجنسين فيما يخص القدرات اللغوية يعرف جيدا بأنه ينبغي توجيه كلا الجنسين حسب النشاطات المتوفرة . فالنشاطات اللغوية واللفظية أنسب للإناث في حين أن النشاطات الحركية والرياضية وكذلك العددية أنسب للبنين من البنات .

إن معرفة المربي للحدود التي يتراوح فيها ذكاء الأفراد يفيده في تحديد مدى قدرته على إحداث التغير المتوقع . وهذا لن يتأثر إلا إذا اكتسب المربي الخبرة اللازمة في تطبيق اختبارات الذكاء وتصحيحها كما يستلزمه عليه الأمر الإلمام بمختلف جوانب القياس النفسي والتربوي في مجال الفروق الفردية (رمزية الغريب ، 1985) وهذا مجال لازال يحتاج إلى تطوير نظرا لصعوبة ملاحظة الفروق في الظواهر النفسية وقياسها قياسا مباشرا كما هو الشأن بالنسبة للصفات الجسمية ، وهذا ما يجب أن يحث كل مربي على أن يتطلع على مختلف طرق قياس السلوك البشري وعلى الطرق المستعملة في تقييم تلك السلوكيات وكذلك المبادئ الإحصائية الأولية التي تعتمد عليها تقنيات قياس الفروق الفردية مثل الانحراف المعياري وتقنية تحليل التباين ومختلف مقاييس التشتت . فبدون هذه الوسائل سوف يعجز المربي على القيام بعملية حصر وتقييم الفروق الفردية الخاصة بالخصائص الشخصية .

المراجع

1 _ رمزية الغريب : التقويم والقياس النفسي التربوي . مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1985

2 _ فروق سيد عبد الرحمان وآخرون : مدخل إلى القياس النفسي والتربوي . دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1991

3 _ فؤاد أو حطب ، سيد أحمد عثمان . التقويم النفسي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1979.

Olson, G. M ET IL. Long term Correlates of journal of educational psychology, 1968, 59, 227 232.